الحوار والصلح واثرهما في إقامة السلام " صلح الحديبية أنموذجاً"

ذهبية عاشور أبوبكر قري
كلية التربية زوارة – جامعة الزاوية
EMAIL: elgadie2@gmail.com

ملخص البحث :

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أحداث الصلح، والمنهج الذي أتبعه الرسول الكريم صل الله عليه وسلم ، لبيان أهمية الحوار والمصالحة من خلال اللغة الإجتماعية للقرآن الكريم والسنة النبوية، أعتمدتُ في هذه الدراسة على المنهج التحليلي، توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها:

– الإسلام هو دين الحوار، الحوار المتكافئ القائم على إرادة الفهم، إرادة العلم، وإرادة التعايش بعيداً عن كل الإكراهات السياسية والاجتماعية والفكرية.

– الحوار وسيلة من وسائل التفاهم بين الناس، ومن وسائل المعرفة والاقناع مهما كانت الثقافات والتوجهات، كذلك من أهم وسائل الدعوة إلى الله، والوصول إلى الحق والصواب.

Abstract:

This research aims to shed light on the events of reconciliation and the methodology followed by the Noble Prophet, peace be upon him, to emphasize the importance of dialogue and reconciliation through the social language of the Qur'an and Sunnah. In this study, I adopted an analytical approach. The study reached several key conclusions, including:

- Islam is a religion of dialogue—balanced dialogue based on the desire for understanding, knowledge, and coexistence, free from political, social, and ideological coercion.
- Dialogue is a means of mutual understanding, a tool for acquiring knowledge and persuasion regardless of cultural or ideological differences. It is also one of the most important methods of calling to Allah and attaining truth and correctness.

المقدمة

بعد صلح الحديبية من أهم الأحداث التاريخية في العصر الإسلامي الذي عقد في شهر ذي القعدة للسنة السادسة من الهجرة ما وجسد هذا الصلح البناء التأسيسي لمبدأ الحوار وإحياء التفاهم بين الاطراف المتنازعة، وتسوية الأزمة بالطرق السلمية، وهو ما تقره المنظمات والهيئات الدولية في العصر الحديث.

لقد كان الصلح الذي عقده الرسول عليه الصلاة والسلام مع المشركين، أثر بارز في إقامة السلام والوئام بين المسلمين، لذلك يجب على كل إمام أو خليفة أن تكون المشورة والحوار الدائم ديدنه وعادته حتى لا

يصبح دكتاتوراً، وتحبه الرعية، وتصبح مستعده لنصرته أو معاونته وان سوء الأوضاع السياسية التي تمر بها بعض البلاد الإسلامية المعاصرة وليدة ترك الحوار والمشورة الدائمة. أن الحوار في هذا الصلح يقوم على أهداف سامية، من أهمها الدعوة إلى الدين الخالص، والتوحيد والخلق الحسن، لأن الدعوة لا بد أن تكون بجميع شؤونها كما قال تعالى : ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾.

لقد بذل الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم كل ما في وسعه لنشر الحق، والعقيدة الصحيحة بأساليب شتى ومن تلك الأساليب أسلوب الحوار والمكالمة والمناقشة بالتي هي احسن، ذلك لأن القرآن الكريم يؤكد على أهمية الصلح في اكثر من آيه لقوله تعالى: (**والصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**) أو قوله تعالى : ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾.

إن عقد الصلح بإنهائه للنزاع القائم أو المحتمل بين طرفي الصراع، يسهم في تحقيق السلم الاجتماعي، وإشاعة الأمن والسلام بين أفراد المجتمع ، فهو يعمل على استئصال الخصومة ويؤلف بين القلوب المتنافرة، ويضع حداً لما تركته الخصومات من أحقاد وبغضاء في النفوس.

فالحوار ينطوي على التسامح، لأنه اعتراف بالقصور، ويحد من غلو الاعتداد بالذات وهذا هو الذي يرسخ لدينا مشاعر الحاجة إلى الآخرين. فنحن في حاجة إلى إشاعة ثقافة والحوار والتفاوض والتصالح داخلياً، لمزيد من التفاهم بيننا، ذلك التفاهم الذي يكاد يكون مفقوداً، أو على الأقل غير فاعل، حتى وصل الأمر إلى الاختلاف والفرقة، وإضاعة الفرص، وتمكين أصحاب المصالح والأعداء منا.

فما أحوجنا نحن في إطار ظروف التقهقر الحضاري في عالمنا العربي والإسلامي إلى التعرف عن أساليب واستيعاب هذه الثقافة، بل وعلينا أن نسهم في تطويرها من واقعنا وقيم ديننا الأصيلة.

الهدف من الدراسة

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أحداث الصلح، والمنهج الذي أتبعه الرسول الكريم صل الله عليه وسلم ، لبيان أهمية الحوار والمصالحة من خلال اللغة الإجتماعية للقرآن الكريم والسنة النبوية، وذلك للاقتداء بالرسول عليه صلاة والسلام فيما حدث له في صلح الحديبية بمكة، كما يهدف ايضاً إلى تقديم أسس ومعايير الصلح والحوار حتي يتفادى بها المسلمين الخلاف والحروب في قضاياهم السياسية في كل زمان ومكان.

منهج البحث :

أعتمدتُ في هذه الدراسة على المنهج التحليلي الذي يقوم على جمع المادة العلمية وسردها، ثم استقرائها ، وتحليلها، ودراستها ، لغرض استخلاص الدروس والعبر، والتعرف على طريقة التعامل عند الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والسلام في المواقف المعارضة والمخالفة له.

وقد استدعت هذه الدراسة تقسيم البحث الى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدتُ عليها في دراستي هذه. تناولتُ في المبحث الأول الذي يحمل عنوان " الحوار والصلح وأثرهما في إقامة السلام، الحوار واهميتهُ، وتطرقتُ إلى معني الصلح وآثاره الإيجابية في إقامة السلام.

وتحدثتُ في المبحث الثاني المعنون بـ " صلح الحديبية وتاريخه " عن أسباب الصلح الذي عقده الرسول صل الله عليه وسلم مع المشركين، كما تعرضتُ إلى الشروط التي فرضت في هذا الصلح.

أما في المبحث الثالث والاخير والذي يحمل عنوان "كتابة الصلح ونتائجهُ" بينتُ آثاره الإيجابية على المسلمين وكيف ظهرت للمسلمين حكمة الرسول من عقد هذا الصلح.

واخيراً الخاتمة وهي خلاصة ما توصلتُ اليه من نتائج مهمة من خلال هذا الصلح العظيم.

المبحث الأول

الحوار والصلح وأثرهما في إقامة السلام

أ- مفهوم الحوار وخصائصه:

يطلق الحوار في اللغة على مراجعة الكلام. يقال: حاورته: أي راجعته الكلام، وتحاور القوم أو الجماعة: راجعوا الكلام بينهم. قال ابن منظور: "المحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة [1]".

فالحوار هو أسلوب يجري بين طرفين يسوق كل منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به، ويراجع الطرف الثاني في منطقه وفكره قاصداً بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظرة [2].

ويرى البعض أن الحوار وسيلة تستخدم الإقناع الذاتي لتمحيص الأفكار والمعلومات السابقة واختبارها بطريق غير مباشر لتأكيد من صحتها أو خطئها، لذا فهي لا تعتمد التلقين المجرد القائم على الأمر والنهي أو على مجرد الإلقاء والسماع المطلقين، فالحوار طريقة تقوم على المناقشة المتبادلة بين طرفين وتتخللها أسئلة وإجاباتها [3] فالحوار: مناقشة بين طرفين أو أطراف يقصد بها تصحيح كلام أو اظهار حجة وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفساد من القول والرأي[4]. فهو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، ويتم فيه تناول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر احدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب [5] وقيل هو عرض لوجهتي نظر، أو هو نوع من توضيح خصائص مختلفة الأمرين [6] فالحوار عبارة عن وسيلة للتفاهم تكون بعرض الأفكار ومراجعة للكلام وتداوله بين الأطراف المتحاورة يهدف الوصول إلى الحق مع مراعاة الضوابط الأخلاقية بين المتحاورين، التي تجعلهم مهيئين لقبول النتيجة مهما كانت ولمصلحة من تكون [7].

إن من المشكلات التي كان يعاني منها الواقع الإنساني وما يزال هي مسألة الحوار القائم على الاعتراف بالآخر، وإزالة الالتباسات من أصل إرساء قواعد سليمة في التعامل الإنساني، وبدل السعي إلى اجتياز الحواجز النفسية والثقافية والفكرية، وإزالة الحواجز من طريق أي حوار، لإقامة علاقات متوازنة بين

الشعوب والدول، وبناء المجتمعات على أسس سليمة، نجد أنه يتم التعامل باستعلاء واستكبار، حيث يحاول القوي أن يتسلط على الضعيف.

وللحوار أهمية كبيرة في احداث تلاقح بين أفكار الناس والشعوب وثقافاتهم يؤدي في النهاية إلى الوصول إلى التعارف، فالتعارف لا يكون جدياً وعميقاً ومستمراً دون أن يبنى على حوار جاد ومستمر ومتسامح بين المتعارفين سواء كان بين المسلمين وبعضهم البعض أو بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الأديان والملل والعقائد الأخرى. [8]

ب – أهمية الحوار:

أشار القرطبي إلى أهمية الحوار باعتباره اهم الوسائل للتفريق بين الحق والباطل عن طريق استخدام الحجج والبراهين، وإفحام الخصم، فقال في تفسير الآيات التي تتحدث عن المحاجة والمجادلة: "ذلك من الأي فهو كله تعليم من الله عز وجل السؤال والحوار والمجادلة في الدين، لأنه لا يظهر الفرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ورفض حجة الباطل" [9].

فأهمية الحوار تنبع من أهمية الكلام نفسه، الذي يعد السلاح الذي يحمله كل نبيّ لتبليغ دعوته إلى الآخرين، إذ لا نزاع في أن مهمة الرسل هي أن يبلغوا دين الله للناس فينتزعوهم من الضلال والجهل إلى المعرفة الصحيحة لله اولاً، ثم يبينوا لهم الأسلوب الأمثل لتطبيق شرع الله، وهذا بطبيعة الحال يستلزم الحوار الدائم والمتواصل بينه وبين المرسل إليهم، هو يريد أن يقنعهم بدعوته، وهم يجادلونه للتمسك بتقاليدهم وموروثهم الحضاري.

ومن هنا تبدوا أهمية الكلام باعتباره السلاح الأساسي في هذه الحرب. وهو السلاح الوحيد الذي لا يستغنى عنه الداعية، ولا يجد شيئاً قط يحل محله أو يغنى عنه [10] ولذلك فقد جعل موسى –عليه السلام–قضية الكلام مطلباً أولياً يدعو ربه أن يحققه له: ﴿**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي**﴾ [11] ومن هنا تكمن أهمية الحوار باعتباره من احسن الوسائل الموصلة إلى الإقناع وتغيير الاتجاه الذي قد يدفع إلى تعديل السلوك إلى الأفضل، لأن الحوار ترويض للنفوس على قبول النقد، واحترام آراء الآخرين.

وتكمن أهمية الحوار في أنه وسيلة فعالة لقهر التسلط والاستبداد الفكري والساسي، ووسيلة لقهر التعصب والانغلاق الفكري، وتجنب العنف والإرهاب بكل ألوانه، أن غياب الحوار من المجتمع يعني غياب الحرية وازدياد العنف، وهو دليل على تحكم الاستبداد بالرأي ومصادرة حرية الفكر والثقافة، ونبذ الآخر وإقصائه.

جـ – تعريف الصلح :

1. معنى الصلح في اللغة :

الصلح أو الإصلاح ضد الفساد كالصلوح، وصلح كمنع وكرم، وهو صلح بالكسر وصالح وصليح وأصلحه ضد أفسده، والصلح بالضم [12].

ويقول ابن منظور: صلح – الصلاح ضد الفساد فصلح يصلح من باب نصر ومنع واصلح الشيء بعد فساده: إقامة والصلح: السلم [13].

فالصلح هو السلم، والصلح هو اتفاق طائفة مخصوصه على أمر مخصوص[14].

والصلح في الشرع عقد ينهي الخصومة بين المتخاصمين ويسمى كل واحد من المتعاقدين مصالحاً، ويسمى الحق المتنازع فيه مصالحاً عنه، وما يؤديه أحدهما لخصمه قطعاً للنزاع، يسمى مصالحاً عليه أو بدل الصلح [15].

وقد ذكر الصلح في عدة آيات قرآنية لقوله تعالى:

﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [16]، وقوله تعالى: ﴿ لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ [17]، وروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إمضاء الصلح بين المسلمين جائز، إلا صلحاً أحل حراماً او حرم حلالاً)[18].

2. الصلح في الاصطلاح:

الصلح ضد الفساد ويقال صلح الشيء إذا زال عنه الفساد وصلح المريض إذا زال عنه المرض وهو فساد المزاج وصلح فلان في سيرته إذا اقلع عن الفساد وفي الشرع: عقد يرتفع به التشاجر والتنازع بين الخصوم وهما منشأ الفساد ومثار الفتن [19].

والصلح اسم من المصالحة وشرعاً عقد يرفع النزاع ويقطع الخصومة [20]، والمصالحة تعني المسالمة واصلة من الصلاح وهو استقامة الحال ضد الفساد – أو عقد يرفع النزاع بين الخصمين [21].

د –أهمية الصلح وأثاره:

إن الصلح في السنة يهدف إلى صلاح النفوس، وذلك بدفع الفساد الواقع بينها، ومن ثم فإن الصلح له أهمية بالغة، ومنزلة عالية، لما يؤدي إليه من تألف القلوب، وصفاء النفوس، وذلك بحصول التسامح عن بعض الحقوق بالاتفاق والتراضي.

ومن هنا دعا الإسلام إلى الصلح بين الناس لأنه ينهي الخصومة والنزاعات بين الأطراف[22] فهو ضرورة من ضروريات الحياة حفاظاً على الأفراد من ضياع حقوقهم وحياتهم، والجماعات والدول من الانهيار والتمزق، وأكد القرآن الكريم والسنة النبوية على هذا المعنى للترغيب في الصلح لما فيه من القوة والترابط، والتحديد من الخلاف والشقاق التي هي قواعد الشر[23].

إن الصلح أصله من الصلاح وهو ضد الفساد، ومعناه دال على حسنة، فكم من فساد انقلب به إلى الصلاح بحسنة ولهذا أمر الله تعالى به عند حصول الفساد والفتن[24] لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [25].

الصلح يحمي الأمة الإسلامية من التفكك والتفرق والاختلاف، فاقتتال المسلمين فيما بينهم يصيب الأمة الإسلامية بالفشل الذي يؤدي إلى الوهن والضعف وذهاب القوة، والاختلاف اضعاف لها، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [26]، وقد ورد ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (يوشك ان تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الكلة على قصعتها، قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله قال: أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء لغثاء السيل)[27].

الصلح يحقن الدماء ويحافظ على الأعراض والأموال فقتال المسلمين للمسلمين لايخلوا من أن يقتل بعضهم بعضاً، القاتل مسلم والمقتول مسلم، فيفاني المسلمون فيما بينهم وتنش بينهم الأحقاد والضغائن والثارات، وبذلك ينشغل المسلمون عن أمور الناس، وعن أمور أهلهم، بل وعن أمو دينهم الذي حثهم على الألفة ونهاهم عن الفرقة .

الصلح يحافظ على الدين والذين عند الله الإسلام لذلك منّ علينا بالإسلام وأمرنا بالمحافظة عليه[28]، لقوله تعال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [29]، ثم نهانا عن التفرق والاختلاف وذكرنا بنعمته علينا فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [30].

وأخيراً نقول إن الصلح هو الدواء الذي تستعيد به الأمة الإسلامية عافيتها، فنسأل الله أن يعافي أمة الإسلام من كل داء وأن ينعم عليها بالأمن والسلام.

المبحث الثاني

صلح الحديبية وتاريخه

يعد صلح الحديبية من أهم أحداث السيرة النبوية، تم هذا الصلح في شهر ذي القعدة للسنة السادسة من الهجرة، وقد خاض النبي صلى الله عليه وسلم مع الصحابة العديد من الغزوات قبل إبرام هذا الصلح منها غزوة بدر، وغزوة بن النضير، وغزوة بني قريضة، وغزوة الأحزاب وغيرها من الغزوات والحروب مع قريش وحلفائها.

رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وهو في المدينة المنورة انه قد أتى بيت الله الحرام معتمراً، وعندما أخبر أصحابه بحديث الرؤيا فرحوا لعلمهم أن رؤية الأنبياء حق، واستبشروا بدخول البيت بعد أن منعهم كفار قريش دخول الحرم وأداء المناسك، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم هو وألف وخمسمائة من أصحابه إلى مكة لأداء العمرة، ليس معهم من السلاح إلا بعض السيوف والدروع من

مائتي فرس حتى ان سيدنا عمر رضي الله عنه قال: يارسول الله ألا تخشى أبي سفيان وأصحابه ولم تأخذ للحرب عدتها؟ فقال صلى الله عليه وسلم لست أحب حمل السلاح معتمراً[31].

عندما تأكدت قريش من نبأ خروج النبي صلى الله عليه وسلم، أعتبرت الأمر نوعاً من التحدي، فعقد زعماء قريش اجتماعاً للاتفاق على كيفية مواجهة الموقف وانتهى الاجتماع بقرار يقضي بعدم تمكين المسلمين من دخول مكة، حتى لو أدى ذلك إلى الحرب، وثم اختيار عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو لمتابعة تطور الموقف، وثم إعلان حالة الاستنفار في مكة والاستعداد للقتال، كما أرسلت قريش إلى حلفائها من ثقيف والأحباش وبالفعل قدم الأحابيش بقيادة الحليس بن زيان، وجاءت ثقيف بقيادة عروة بن مسعود الثقفي، وتجمعت الجموع في وادي بلدح غرب مكة فكانوا ثمانية آلاف، وشكلت قريش قوة من الفرسان بلغت المائتين وجعلت على رأسها خالد بن الوليد لعرقلة تقدم المسلمين، فاتخذت مواقعها في كراع الغميم قرب عسفان[32].

وعندما علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك تفادى هذا الصدام الدامي معهم ونزل بقرية تبعد عن مكة حوالي 20 كم تقريباً تسمى (الحديبية) وأرسل إلى المشركين عثمان بن عفان رضي الله عنه للتفاوض معهم وليعلمهم سبب قدومه، وأنه لا ينوي قتالاً، إنما معتمراً لحرمة مكة والبيت الحرام، وطال وقت مكوث عثمان رضي الله عنه عند المشركين وأشيع أنه قتل، وقتل السفراء جريمة لا تغفر فقرر النبي صلى الله عليه وسلم الاستعداد لقتال المشركين وعقد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم معه البيعة وسميت (بيعة الرضوان) وكان القتال وشيكاً لولا ظهور عثمان رضي الله عنه، فأعلن النبي صلى الله عليه وسلم عن رغبته في قبول الصلح، وبدأت قريش في إرسال الرسل، وبعد التفاوض بين الطرفين وتبادل الرسل تم التوصل لاتفاق على بنود عدة والتوقيع على هذه البنود والإشهاد عليها[33].

أ. اسباب صلح الحديبية:

لقد كان الرسول رافض لفكرة الحرب منذ البداية، فذكر المسلمين بحرمة التقاتل في الشهر الحرم وهو في المدينة قبل خروجه منها، ويشهد على ذلك أمران:

1. قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنا لم نجيء لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين) [34].

عدم حمل المسلمين من السلاح ما يتناسب مع الحرب والقتال، إذ لم يكن التأهب للقتال، ولم يكن سلاحهم يتجاوز سلاح الراكب والمسافر العادي، وهذا من أدلّ الأدلة على عدم إرادة النبي صلى الله عليه وسلم الحرب والقتال، رغم عدم مهابته منها إذا اقتضى الأمر ذلك.

لهذا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال عند نزوله الحديبية: (لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها) [35].

وبلغ قريش كلام رسول الله فبعثوا ببعض رجالهم إلى المسلمين يستفسرون سبب توجههم إلى مكة، فبعثوا أولاً بديل بن ورقا الخزاعي[36] مع جماعة، فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن نيته فأجاب صلى الله عليه وسلم قائلاً: (إنا لم نجيء لقتال أحدٍ، ولكنا جئنا معمرين ولدى رجوع بديل إلى قريش أخبرهم بنية المسلمين، لكنهم لم يثقوا بكلامه.

كان مبعوث النبي صلى الله عليه وسلم إلى قريش في بادئ الأمر رجلاً من خزاعة، القبلية التي لم تكن على خلاف مع قريش، بل كانت أقرب ما تكون إلى الحياد[37].

ولما انتهت سفارة خراش بالفشل، ولم يستطع أن يبلغ رسالة النبي إلى قريش، لم ييأس الرسول صلى الله عليه وسلم، فعمل على أن يرسل إليها مبعوثاً آخر لمحاولة إفهامها غرضة من القدوم إلى مكة، ووقع اختيار النبي صلى الله عليه وسلم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليتولى القيام بالسفارة إلى قريش، ولكن عمر طلب من الرسول اعفائه من القيام بهذه المهمة وقال: يا رسول الله، أني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب[38].

أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوني إياها، وغلطتي عليها ولكن ي أذلك على رجل أعز بها مني، عثمان بن عفان[39]، فدعا الرسول صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان وأرسله إلى قريش بمكة. فعثمان رجل يغلب عليه الهدوء والبعد عن الحدة، وهو أقوى له عصبة من بني أمية تمنعه وتجيره[40]، لذلك أمره الرسول أن ينطلق إلى أشراف قريش يخبرهم بانه لم يأت للحرب، وإنما جاء زائر لهذا البيت ومعظماً له[41]. فأرسلوا مبعوثاً آخر يسمى "مكرز بن حفص" فتحادث مع النبي ورجع إلى قريش، وقال لهم ما قاله بديل، لكن قريش لم تصدق مركزاً أيضاً.

ولحسم الموقف بعثت قريش الحليس بن علقمة كبير رماة العرب، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قادماً قال: إن هذا من قوم يتألهون – أي يعظمون أمر الله – فأبعثوا الهدي في وجهه حتى يراه"[42].

كان لموقف الحليس ومقالته أثراً كبيراً لتسريع عجلة المحادثات والمفاوضات، فبعثت قريش بعروة بن مسعود الثقفي إلى المسلمين حتى يتفاوض مع النبي صلى الله عليه وسلم، ويخرج من المفاوضات بحل يرضى الطرفين، وتعهدت له قريش أن تقبل ما يقوله تبادل عروة الحديث مع النبي صلى الله عليه وسلم، لكن المفاوضات لم تصل إلى نتيجة، إلا أنه شاهد المسلمين من قريب ورأى إعظامهم النبي صلى الله عليه وسلم وإطاعتهم له، ولمس ثباتهم في عقيدتهم وشدة إيمانهم، فتأثر بهم تأثراً كبيراً[43].

وعندما رجع إلى قريش قال لهم: "يا معشر قريش أني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه وما يجدون النظر إليه تعظيماً له، وإنه ق عرض عليكم خطة رشد فأقبلوها، لكن قريش بقيت مصرة على موقفها الخاطئ، لأنها لم تكن تريد السلام[44].

وبعد محاورات جرت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش، وفقت قريش على أن يسمحوا للمسلمين بزيارة البيت لمدة ثلاثة أيام، لكن ليس في هذه السنة بل في العام القادم، وقبل الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك وكتب بينهم كتاب صلح لمدة ثلاث سنين.

ب . مرحلة التفاوض:

لقد كان خروج المسلمين من أجل تعظيم حرمات الله بأداء العمرة إلا أن قريشاً حاولت صدهم عن بيت الله الحرام وأرسلت رسلاً بهدف تخويف وإرهاب المسلمين، لذلك أعلن النبي صلى الله عليه وسلم لأول رسلهم (بديل بن ورقاء الخزاعي) أنه يريد الصلح والمعاهدة، فقال صلى الله عليه وسلم: إنا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمدين، وإن قريشاً قد أنهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن ساءوا ما ددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن اظهر فإن شاءوا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، وإن هم أبو فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هنا حتى تنفرد سالفتي ولينفدن الله أمره[45].

والنبي صلى الله عليه وسلم يسن قواعد مخاطبة الوسطاء بكلمات شافية بين فيها نبل المقصد والرغبة في المهادنة، فيبادر ليعلن بنفسه عن استعداده لعقد الصلح مرجحاً لمصلحة المسلمين، ويستنبط ابن القيم من هذا جواز ابتداء الإمام بطلب الصلح العدو إذا رأى المصلحة للمسلمين فيه[46].

وقسم النبي صلى الله عليه وسلم على استعداده لعقد الصلح مع قريش، إن كان هذا الصلح يعظم حرمات الله، وإن كان قبول الصلح يبدوا في ظاهرة مفسدة بإدخال القيم على المسلمين، إلا أنه يتضح بعد ذلك أن في مصالحة قريش والهدنة مصلحة عظيمة عززت موقف الإسلام وهو السبب المؤدي إلى فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجاً.

ومن خلال الاطلاع على بعض الروايات في كتب السير يتضح ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستقرأ من وجوه الرسل ويوازن في رد فعله اتجاه كل واحد منهم، حتى عمل هؤلاء السفراء على تغير وجهة نظر قريش الرافضة تماماً للصلح، وكانت له طريقة للتعامل مع كل من آتى مفاوضاً للمسلمين من سفراء قريش، وذلك لأن معاملة الناس تختلف من شخص لآخر ومن جماعة لأخرى، فعندما جاء بديل من ورقاء وهو زعيم قبيلة خزاعة واستشعر النبي صلى الله عليه وسلم أنه أقرب للمسلمين منه إلى قريش فحرص عليه السلام على إيضاح موف المسلمين وإظهار إصرارهم وقوتهم واستعدادهم للقتال حال رفض قريش الصلح واظهر له الشفقة على قريش التي انهكتها الحرب، وهو بذلك يهدف إلى أن يدرك بديل بن ورقاء قوة المسلمين وأن عقد الصلح والمهادنة من مصلحة قريش تأثير بديل بن ورقة بموقف النبي صلى الله وعليهم وسلم والذي يبدوا واضحاً وجلياً أن الغرض منه من زيارة مكة وأداء العمرة وحسن النية وعدم الرغبة في القتال[47].

وقد كان عروة بن مسعود نعيم ثقيف معظماً لقوة قريش واستعدادها للقتال ومقللاً من شأن المسلمين، لذلك أراه النبي صلى الله عليه وسلم حب أصحابه ودفاعهم وتعظيم له فانقلبت الحرب النفسية

على عروة نفسه إذ يقول عندما رجع إلى قومه. (أي قوم والله لقد وفدت إلى الملوك ووفدت إلى كسرى وقيصر والنجاشي، واله ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه، ما يعظم أصحاب محمد. ولذلك نصحهم بالسماح للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بدخول البيت والاعتمار.

لقد أثر تحذير عروة وإنذار بالإيجاب على قريش، فرأوا التخلي عن فكرة تحدي المسلمين من دخول الحرم، لكنهم وجدوا انه حفاظاً لماء وجوههم بين العرب أن يشترطوا على محمد وأصحابه لرجوع هذا العام وأن يأتوا العام القادم، وأسروا بذلك إلى عروة والذي أراد أن يقطع عليهم خط الرجعة بأن سحب جماعته وعاد بهم إلى الطائف، مما أضعف لديهم خيار المواجهة وعزز لديهم خيار الصلح.

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم عل دراية تامة في التعامل مع الوسطاء مما جعل قريش تنتقل في التصميم على القتال إلى الرغبة في التفاوض وإيجاد الحلول الوسط.

كان إرسال قريش لسهيل بن عمرو وبداية التراجع وقبول التفاوض، فهو رجل له احترام القائد مشهور بقدرته على التفاوض لذلك عندما رأى النبي سهيلاً قال: سهل الله أمركم القوم أتون إليكم بأرحامكم وسائلوكم الصلح، ما بعثوا الهدى، وظهور التلبية لعل الله يلين قلوبهم.

وافتتح سهيل كلامه بالاعتذار النبي صلى الله عليه وسلم عن تسلل بعض شباب قريش إلى معسكر المسلمين في الحديبية، كما اعتذر عن احتجاز عثمان وأصحابه العشرة في مكة فقال: "إن من قاتلكم لم يكن من ذوي رأينا ولا ذوي الأحلام منا، بل كنا كارهين حتى بلغا ولم نعلم به، وكان من سفهائنا[48].

وقبل النبي صلى الله عليه وسلم التفاوض مع قريش وقبل شروط الصلح بما فيه من اجحاف للمسلمين، وذلك لأن النبي يعلم أن قريش ليست في حاجة لاعتراف النبي صلى الله عليه وسلم بها، فهي كيان له تاريخ ديني طويل معترف بها من القبائل كلها ولها احترامها وسط الجزيرة العربية آنذاك، أما المسلمين فلا زالوا جماعة ناشئة صغيرة، فإذا ما جلست قريش للتفاوض معهم فهذا يعد اعتراف من قريش بقوة النبي والمسلمين واستقلالهم.

كما أن قبول التفاوض يقرر مبدأ الحوار وإحياء التفاهم بين الطرفين، وتهيئة مناخ مناسب لتسوية الأزمة بالطرق السلمية وهو ما تقره المنظمات والهيئات الدولية في العصر الحديث.

ونستنتج هنا من قبول النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الصلح انه لا مانع من قبا الدول الإسلامية بعقد اتفاقيات ومعاهدات مع الدول الكبرى، خاصة إذا ما وازنت بين المصالح، وشرط تحقيق مصلحة المسلمين وعدم الإخلال بما يمس أصول الدين.

المبحث الثالث

مرحلة كتابة الصلح ونتائجهِ

أ. مرحلة كتابة الصلح:

إن صياغة المعاهدات وتدوينها هو انتقال من مرحلة إبداء حسن النوايا والتفاهم إلى مرحلة الالتزام، وذكرت بعض الروايات نص الاتفاق اكتب: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبدالله وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى رسول الله صل الله عليه وسلم من أصحابه بدون إذن وليه رده عليهم، ومن أتى قريشاً ممن مع رسول الله صل الله عليه وسلم لم يردوه عليه، وإن بيننا عيبه مكفوفة، وإنه لا إسلال ولا إغلال، وكان شرطهم حين كتبوا الكتاب، أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وأن محمد يرجع عامه هذا بأصحابه، ويدخل علينا قابل في أصحابه فيقيم ثلاثاً، ولا يدخل علينا سلاحاً إلا سلاح المسافر، والسيوف في القرن، فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن مع عقد الرسول الله صل الله عليه وسلم وعهده، وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم[49].

ويظهر من خلال هذه الرواية أن الرسول عليه الصلاة والسلام أجاب لشروط قريش في حين أنه لم يشترط أي شرط على قريش. انتهت المفاوضات الشفوية بين النبي صل الله عليه وسلم وبين المشركين برئاسة سهيل بن عمرو، وعندما احضرت الدواة والصحيفة لتدوين المعاهدة، دعا النبي صل الله عليه وسلم أوس بن خولي لتحرير الوثيقة، فاعترض سهيل بن عمرو قائلاً: لا يكتبه إلا أحد من الرجلين: ابن عمك علي بن أبي طالب أو عثمان بن عفان، فأمر عليه الصلاة والسلام علياً بالكتابة.[50]

وعندما شرع الرسول عليه الصلاة والسلام في إملاء صيغة الاتفاق: فأمر علياً أن يبدأ بكتابة "**بسم الله الرحمن الرحيم**" فأعترض سهيل قائلاً: لا أعرف الرحمن، أكتب ما كنا نكتب: "باسمك اللهم" فتعالت أصوات الصحابة بالرفض وقالوا: هو الرحمن ولا تكتب إلا الرحمن، قال سهيل: "إذا لا اقاضيك على شيء، فقال رسول الله صل الله عليه وسلم: اكتبوا باسمك اللهم، هذا ما اصطلح عليه رسول الله، فقال سهيل: لو أعلم إنك رسول الله ما خالفتك أفترغب عن اسم أبيك؟ محمد بن عبدالله؟ وهنا ارتفعت أصوات الصحابة مرة ثانية وقام رجل من المسلمين وقال: لا تكتب إلا محمد رسول الله، أما أسيد بن خضير سيد الأوس، وسعيد بن عبادة سيد الخزرج، فقد أخذ بيد الكاتب فأمسكا بها وقالا: لا تكتب إلا محمد رسول الله وإلا السيف بيننا، علام نعطي الدنية في ديننا؟ وهنا تدخل النبي صل الله عليه وسلم فأومأ بيده الشريفة إلى الصحابة بالصمت، ثم أمر علياً أن يمحو رسول الله وأن يكتب بدلاً منها كلمة محمد بن عبدالله[51].

استجاب الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام لمطالب سهيل بن عمرو بحذف البسملة وحذف وصف النبي بالرسول لأن النبي اعتبر أن ذلك من الأمور الشكلية، وفي موافقة النبي صل الله عليه وسلم على محو البسملة وصفة الرسالة تغليب للمصلحة الجوهرية، وهي عقد الصلح ومنع وقوع صدام بين الطرفين قد يؤدي إلى انتهاك حرمة المسجد الحرام وفيه تحكيم للعقل عند الجلوس مع العدو والنظر للأمور بعمق وعدم الوقوف على الأمور الشكلية إلا في مساسها بأصول الدين.

ولم يكن التوقيع النهائي للاتفاق قد تم عندما جاء عمرو بن الخطاب إلى النبي صل الله عليه وسلم يراجعه في بنود الاتفاق قائلاً: "يا رسول الله، ألست برسول الله؟ قال: بلى، قال: ألسنا مسلمين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فرد النبي صل الله عليه وسلم: أنا عبدالله ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيعني[52]

وحملت الغيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الإسلام أن يعيد طرح المراجعة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فرد أبوبكر بلهجة الواثق في موازنة النبي صل الله عليه وسلم للأمور ومآلاتها: إلزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله، وأن الحق ما أمر به، ولن تخالف أمر الله، ولن يضيعه الله[53].

لم يكن عمر رضي الله عنه وهؤلاء الصحابة كارهون للصلح، بل كانوا يشعرون بمرارة العودة إلى المدينة دون أداء العمرة فكانت المعاهدة مثبطة لأمالهم في دخول مكة وتعظيم البيت بأداء الشعائر لذلك كرروا مراجعته فقالوا: ألم تحدثنا يا رسول الله أنك ستدخل المسجد الحرام، وتأخذ مفتاح الكعبة، وتعرف مع المعرفين؟ وهذا هدينا لم يصل إلى البيت ولا نحن؟ فرد عليهم النبي صل الله عليه وسلم: "أقلت لكم في سفركم هذا؟ قال عمر: لا فقال رسول الله صل الله عليه وسلم: أما أنكم ستدخلون، وآخذ مفتاح الكعبة، وأحلق رأسي ورؤوسكم ببطن مكة[54].

وما أن هدأ ابن الخطاب وكظم غيضه حتى حدث موقف اشعل الغيرة على الإسلام في قلوبهم من جديد.

فقدو وجدوا أبا جندل بن سهيل بن عمرو قد قدم من مكة يرفس في قيوده هارباً من ظلم قريش يتوسل إلى المسلمين ليوفروا له حق الحماية، وما أن رآه اباه حتى ضربه على وجهه بغصن من الشوك حتى أدماه ودفعه بعيداً عن المسلمين، وأصبح الموقف أكثر توثراً والصحابة في حالة احتقان، إلا أن النبي صل الله عليه وسلم احتوى الموقف بإعادة أبا جندل لأبيه للالتزام بخصوص المعاهدة.

فبنظرنا القاصر قد نجد أن هذا الصلح لا يحقق مصلحة المسلمين، لكن النبي صل الله عليه وسلم بحكمته ونظرته البعيدة قال بهذا الشأن: "من ذهب مني إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً[55] وقد كان الصحابة في بادئ الأمر يرون أن الصلح الحديبية صلحاً مجحفاً لهم، لإيمانهم بالله ورسوله سلموا بالصلح دون إدراكهم للخير الذي سوف يؤول إليه الصلح، إلا أنهم استشعروا ذلك بعد الصلح مباشرة مع نزول سورة الفتح وما تحمله من بشارات عدة للمسلمين، فكان الصلح فتحاً للمسلمين قال تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً ﴾[56].

لقد وقع النبي صل الله عليه وسلم في صلح الحديبية على هدنه لمدة عشر سنوات يأمن فيها الناس بعضهم البعض وبهذه الهدنة يتغلب على الكثير من المعوقات وتمهد لفترة التعايش السلمي في الجزيرة العربية وقد كانت بنودها على الشكل التالي:

1- باسمك اللهم.

2- هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبدالله وسهيل بن عمرو.

3- واصطلحاً على وضع الحرب على الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض.

4- على أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجاً أو معتمراً أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله، ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو إلى الشام يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله.

5- على أنه من أتى محمد من قريش بغير ادن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه.

6- وان بيننا عيبة مكفوفة لا اسلال ولا اغلال.

7- وان من احب ان يدخل في عقد محمد وعهده دخله، ومن احب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتو اثبت خزاعة فقال: نحن في عقد محمد وعهده، وتو اثبت بنو بكر فقالوا: نحن من عقد قريش وعهدهم.

8- وان ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب السيوف في القرب ولا تدخلها بغيرها.

9- وعلى هذا الهدي ما جئناه ومحله فلا تقدمه علينا.

10- اشهد على الصلح رجال من المسلمين ورجال من المشركين، وكان من المسلمين: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبدالله بن سهيل بن عمرو وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن سلمة وعلي بن أبي طالب كاتب المعاهدة رضي الله عنهم، ومن المشركين: مكرز بن حفص وسهيل بن عاصم[57] .

وتعتبر هذه المعاهدة أساساً للمعاهدات الإسلامية ونموذجاً فريداً للمعاهدات الدولية بما يسبقها مع المفاوضات وما حوته من شروط[58].

فالنبي اختار الهدنة لما في مصالحة ومهادنة المشركين من فائدة للمسلمين على عكس الانتقام والدخول في الحرب ضد قريش، وأول خطوة هو الاعتراف بقوة المسلمين وكيانهم علاوة عل اغتنام المسلمين الفرصة لنشر دعوتهم، وبناء قوتهم العسكرية والاقتصادية لتصبح قادرة على الاستعداد والمواجهة والتحديات المقبلة.

كما أن هذه الهدنة "عشر سنوات" تتيح للمسلمين لنشر الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية في جو من الهدوء دون اعتراض أو مضايقات من قريش. وبذلك يحقق النبي صل الله عليه وسلم اعظم مصالح صلح الحديبية وهو تحقيق الأمن للمسلمين، فالأمن ليس هدفاً استراتيجياً فقط، بل يمهد الطريق لهدف اكبر منه وهو نشر الإسلام، كما أن النبي صل الله عليه وسلم بعث الرسائل والوفود إلى ملوك

وحكام عصره للتعرف بالإسلام والدعوة إليه، فكان صلح الحديبية نقطة تحول في انتقال الدعوة من الإطار الإقليمي في أرجاء الجزيرة العربية إلى الإطار العالمي.

ب. نتائج صلح الحديبية:

من نتائج صلح الحديبية اعتراف قريش بحق المسلمين في زيارة الكعبة وأداء العمرة فيها، إلا أنها اشترطت عدم أدائها في ذلك العم، وأداءها في العام المقبل، وقد تم للمسلمين ما أرادوا فقام الرسول في السنة التالية لأداء العمرة ومعه جميع المسلمين الذين جاءوا لأداء العمرة حوالي الألفين[59].

إن توقيع قريش الصلح مع الرسول كان يعني اعترافه الرسمي بأن دولة المدينة تشكل كياناً سياسياً مساوياً لها في المكانة ومن ثم فإن من حق القبائل العربية أن تتعامل معه كما تتعامل معها على قدم المساواة، لذا فإن قبيلة خزاعة قد بادرت فور توقيع الصلح الدخول في عقد مجمد وعهدة أي التحالف معه ثم لم يلبث أن دخل معظم أفرادها في الإسلام[60].

أثبتت الأحداث ان الشروط التي تخوف المسلمين منها في صلح الحديبية قد عمل هذا الصلح لمصلحة المسلمين وعلى خلاف ما أرادت قريش، وذلك لأن المسلمين الذين لجأوا إلى الرسول رفض قولهم وردهم إلى قريش مثل أبي بصير، فإنهم لم يلبثوا أن هربوا من مكة وشكلوا قوة بلغ مقدار أفرادها حوالي السبعين رجلاً فكانوا قد ضيقوا على قريش ولا يظفرون بأحد إلا قتلوه[61].

إن صلح الحديبية الذي ارسى أسس العلاقات السلمية بين المسلمين وقريش قد أفسح المجال أمام القبائل العربية، وأبنائها للتحالف مع المسلمين أو الدخول في الإسلام، دون خوف من غضب قريش أو معارضتها.

لدى عودة الرسول من الحديبية وبينما هو في الطريق بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً[62].

فيما يشير إلى أن القرآن الكريم قد عقد صلح الحديبية بمثابة فتح وقد علق الزهري على ذلك بقوله: (فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه.

كما أورد الواقدي رواية تقول أن عمر بن الخطاب قال في حجة الوداع عن صلح الحديبية ما كان فتح في الإسلام أعظم من فتح الحديبية، ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه والعباد يعجلون[63].

وقد أيقن الصحابة أن الدعوة دخلت في طور جديد وفتح أكيد، وآفاق أوسع، وامتداد أرحب، وأن من طبيعة هذا الدين أن ينمو ويعيش في أجواء السلم والأمن.

تيقن المشركون بمهابة المسلمين وغلبة الإسلام وقد تجلت بعض مظاهر ذلك في مبادرة كثير من صناديد قريش إلى الإسلام مثل خالد بن الوليد وعمر بن العاص.

أعطت الهدنة فرصة لنشر الإسلام وتعريف الناس به، مما أدى إلى دخول كثير من القبائل فيه.

يقول الإمام الزهري: "فما فتح ي الإسلام فتح قبله كان أعظم منه إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكن أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ولقد دخل في تلك السنتين، مثل ما كان في الإسلام مثل ذلك وأكثر[64].

آمن المسلمون جانب قريش فخولوا ثقلهم على اليهود ومن كان يناوئهم من القبائل الأخرى، فكانت غزوة خيبر بعد صلح الحديبية.

كان صلح الحديبية سبباً ومقدمة لفتح مكة، يقول ابن القيم: كانت الهدنة مقدمة بين يدي الفتح الأعظم الذي أعز الله به رسوله وجنده ودخل الناس به دين الله أفواجاً، فكانت هذه الهدنة باباً له ومفتاحاً ومؤدناً بين يديه[65].

لقد حققت معاهدة صلح الحديبية مصالح متواضعة لقريش تتمثل في فرض إرادتها على المسلمين بإرجاعهم بدون اعتمار للحفاظ على مكانتها الاعتبارية بين القبائل العربية بينما قبل النبي بهذه المعاهدة أمام تحقيق مصالح عظيمة للمسلمين وإيجابية تصب في مصلحة المسلمين.

الخاتمة

– الإسلام هو دين الحوار، الحوار المتكافئ القائم على إرادة الفهم، إرادة العلم، وإرادة التعايش بعيداً عن كل الإكراهات السياسية والاجتماعية والفكرية.

– الحوار وسيلة من وسائل التفاهم بين الناس، ومن وسائل المعرفة والاقناع مهما كانت الثقافات والتوجهات، كذلك من أهم وسائل الدعوة إلى الله، والوصول إلى الحق والصواب.

– يعد الصلح السيد في حسم النزاعات والخصومات ولهذا وصفه الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بالخير، وحث على العمل به، ففي الصلح تقارب بين الخصوم، باعتباره مثبتاً للحقوق ومرضياً للطرفين، لذلك نوصي كل أفراد المجتمع بالاتجاء إلى الصلح في حل جميع النزاعات والخصومات وذلك اقتداء بالرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وتطبيقاً لأوامر الشرع الحكيم.

– أتاح صلح الحديبية الفرصة للمسلمين لتوسع أفاق دعوتهم على العالم خارج الجزيرة العربية وانتشار اسم الإسلام في كل أنحاء الجزرة العربية وتردد أصدائه على كل لسان، وأخذ الناس بغريزة حب الاستطلاع يبحثون عن هذا الدين الجديد مما سهل انتشاره بين الناس.

– يمثل صلح الحديبية حدثاً عظيماً من أحداث السيرة النبوية في التاريخ الإسلامي، ويجب أن تكون هذه الحادثة عبرة لكل القادة والدعاة وعليهم أن يتوقفوا عندها خاصة في وقت الأزمات.

– نستنتج من الأوضاع التي تمر بها البلاد الإسلامية قيمة الحوار والتجاور الحضاري والثقافي وضرورة تمازج هذه المجتمعات في بوتقة الارتقاء بأسس التعايش السلمي متجاوزة بالحوار والتصالح كل الممارسات التي تعمل على تصعيد الهوة بينها؛ لضمان التواصل البنّاء بين الثقافات والأديان والحضارات.

– لقد كان للصلح والحوار دوراً بارزاً في تعزيز نسيج العلاقات بين أفراد المجتمع، وإشاعة روح الطمأنينة بين الأطياف المختلفة، كما يعزز روح التفاهم والتسامح بين الأفراد والفئات ويقلص مسافات التباعد بين التيارات الفكرية من خلال تقريب وجهات النظر.

قائمة المصادر والمراجع

(1) ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي أبوالفضل جمال الدين، ج4، لسان العرب، بيروت، دار صادر، د–ت، فصل الراء باب الحاء، ص218.

(2) عبدالستار إبراهيم الهيتى، حوار الذات والآخر، سلسلة كتاب الأمة رقم 99، ص8.

(3) عبد الحميد الهاشمي، الرسول العربي المربي، ط1، دمشق، دار الثقافة للجميع، 1981م، ص13.

(4) صالح بن عبدالله بن حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام، ج1، جدة، دار المنارة، 1994م، ص6.

(5)فيصل بن عبده قائد الحاشري، فن الحوار، أصوله – آدابه، الإسكندرية، دار ايمان، د–ت، ص14.

(6) خليل عبدالمجيد زيادة، الحوار والمناظرة في القرآن الكريم، جدة، دار المنارة، د–ت، ص18.

(7) منفذ بن محمود السقا، الحوار مع أتباع الأديان: مشروعيته وآدابه، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، د–ت، ص4.

(8) فهده الحضيري، ثقافة الحوار في الإسلام، https://bfda.journals.ekb.eg/article.27302.html، تم الاطلاع عليه 2024/02/25م.

(9) القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، حققه أحمد البردوي وإبراهيم أطفيشط، ج3، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1994م، ص286.

(10)عبد الحليم حنفي، أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ط2، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، 1985م، ص16.

(11) سورة طه، الآيات 25–28.

(12) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ج1، بيروت، دار الجيل، د – ت، ص243.

(13)ابن منظور: مصدر سابق، ص479.

(14) الزبيدي: السيد محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، ج1، ط1، بيروت، دار صادر، 1966، ص182.

(15) السيد سابق، فقه السنة، مج3، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت، ص218.

(16) سورة النساء، آية 127.

(17) سورة النساء، آية 114.

(18) أبي داوود، سليمان بن الأشعت، سنن أبي داوود، كتاب الأقضية باب الصلح، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ج3، بيروت، دار الفكر، د – ت، ص204.

(19) الموصلي: عبدالله بن محمود بن مودود، الاختيار لتعليل المختار، تحقيق: زهير عثمان الجعيد، ج2، بيروت، دار الأرقم، د.ت، ص8.

(20) السيد أحمد الحنفي الطحاوي، حاشية الطحاوي على الدر المختار، ج3، ط2، بيروت، دار المعرفة، 1975،ص351.

(21) الهروي: نور الدين أبي الحسن علي بن سلطان، فتح لبابة العناية بشرح النفاية، ج3، بيروت، دار الأرقم للنشر، د – ت، ص135.

(22) الكاساني: علاء الدين أبوبكر مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج6، بيروت، الدار العلمية، د – ت،ص64.

(23) القرطبي: مصدر سابق، ج5، ص406.

(24) الزيلعي: عثمان بن علي فخرالدين: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، ج5، ط1، القاهرة، المطبعة الأميرية 1897م، ص29.

(25) سورة الحجرات، آية 9.

(26) سورة الأنفال، الآية 46.

(27) ابن العربي: محمد بن عبدالله أبوبكر، أحكام القرآن، تحقيق محمد البجاوي، ج2، بيروت، دار المعرفة للنشر، د –ت، ص419.

(28) البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم: صحيح البخاري، كتاب الصلح باب 582 حديث 908، شرح وتحقيق محمد البجاوي، بيروت، دار المعرفة للنشر، د – ت.

(29) سورة آل عمران، الآية 102.

(30) سورة آل عمران، الآية 103.

(31) الواقدي: محمد بن عمر بن واقد، مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج2، ط1، القاهرة، مطبعة السعادة، 1948م، ص573.

(32) محمود شيت خطاب، الرسول القائد، بيروت، دار الفكر، 1989م، ص273.

(33) علي محمد الصلابي، السيرة النبوية، ط1، بيروت، دار المعرفة، 2004، ص273.

(34) هند شريفي، أحداث صلح الحديبية وموقف قريش من المسلمين، www.alukah.net اطلع عليه بتاريخ 2024/02/12.

(35) ابن حجر العسقلاني، مصدر سابق، ج5، ص329، وانظر ايضاً: جعفر الهادي السبحاني، سيد المرسلين، ج2، طهران، مؤسسة النشر الإسلامي، د.ت، ص324.

(36) ابن الأثير: ابو الحسن علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج1 القاهرة، دار الشعب ، 1970 ص 202. انظر ايضاً: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عبدالله عبدالمحسن التركي، ج1، ط1، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1939م، ص146.

(37) محمد أحمد باشميل، صلح الحديبية، الاسكندرية، دار الفكر العربي، 1986م، ص176.

(38) ابن هشام، مصدر سابق، ج2، ص315.

(39) الواقدي، مصدر سابق، ج2، ص600.

(40) محمد أبوزهرة، خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، ج2، القاهرة، دار الفكر العربي، 2005م، ص58.

(41) ابن هشام: عبدالملك بن هشام بن أيوب الحمري، السيرة النبوية، تحقيق طه عبدالرؤوف مسعد، ج2، ط1، بيروت، دار الجيل، 1990م، ص315.

(42) أبوسليمان: حمد بن محمد الخطابي، معالم السنن (وهو شرح سنن الإمام أبي داود)، صححه محمد راغب الطباخ، ط1، حلب، المطبعة العلمية، 1932م، ص374.

(43) ابن هشام، مصدر سابق، ج2. انظر ايضاً: ابن حبان: محمد بن أحمد، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب الأمير علاء الدين بن علي، تحقيق شعيب الارنؤوط، ج1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1988م، ص220.

(44) عبدالسلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985م، ص225.

(45) ابن حبان: محمد بن أحمد، صحيح ابن حبان، تحقيق أحمد شاكر، ج11، القاهرة، دار المعارف، 1952م، ص219.

(46) ابن القيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ج3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1998م، ص265.

(47) صفي الدين المباركفوري، الرحيق المختوم في السيرة النبوية، السعودية، رابطة العالم الإسلامي، 1976م، ص401.

(48) المقريزي: أحمد بن علي، امتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق محمد عبد الحميد اليمني، ج1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1999م، ص87.

(49) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، ج31، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1994م، ص212.

(50) محمود شيت خطاب، سفراء النبي صل الله عليه وسلم ج1، ط1، جدة، دار الأندلس، 1996م، ص277.

(51) المقريزي، مصدر سابق، ج1، ص292.

(52) البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، شرح وتحقيق محمد البخاري، ج2، بيروت، دار المعرفة، د.ت، ص974، حديث رقم 2581.

(53) المصدر نفسه، نفس الصفحة، ونفس رقم الحديث.

(54) الإمام مسلم: مسلم بن الحجاج أبوالحسين، صحيح مسلم، (كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية)، ج3، دار العامرة، 1911م، ص411، حديث رقم 1784.

(55) المصدر نفسه: نفس الصفحة ورقم الحديث.

(56) سورة الفتح آية1.

(57) محمود إبراهيم الديك، المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، لاهور، 1983م، ص270، ص271.

(58) الصلابي، مرجع سابق ، ص 290.

(59) الواقدي: مصدر سابق ، ج2 ،ص731.

(60) المصدر نفسه، ج2، ص749.

(61) ابن هشام، مصدر سابق، ج2، ص322.

(62) ابن هشام، مصدر سابق ، ج2، ص322.

(63) الواقدي ،مصدر سابق، ج2، ص609.

(64) ابن هشام، مصدر سابق، ج3، ص351.

(65) ابن القيم الجوزية، مصدر سابق، ج3،ص309.